

سورة الرعد

١- (الم) ألف، لام، ميم، راء: حروف للدلالة على إعجاز القرآن للإنس والجن، وأنه حق من عند الله، من طريق تحدي العرب بمجاراته ومعارضته، ما دام مكوناً من حروف لغتهم العربية، آيات هذه السورة وغيرها آيات القرآن، والذي أنزل إليك أيها الرسول من ربك بالوحي هو الحق الذي لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يصدقون بأنه من عند الله، لعدم تأملهم وإمعان نظرهم.

٢- الله وحده هو الذي رفع السموات قائمة من غير أعمدة تستند إليها، ثم اعتلى على العرش الذي هو من أعظم المخلوقات اعتلاء يليق به، لا ندري كيفيته، ونؤمن بأنه حق، بلا تكيف ولا تشبيه، وبلا تأويل ولا تعطيل، وذلك الشمس والقمر لمنافع العباد ومصالحهم، كل من الشمس والقمر يجري في فلكه إلى وقت معلوم: وهو فناء الدنيا، وقيام القيامة، يصرف الأمر على وجه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْمُرْتَلِكِ أَيْ أَلَيْتُ الْكِتَابُ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ١ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ وَهُنَّ أَرْبَعُ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي سَبِيلٍ لِّأَجَلٍ مُّسَمًّى يَدَّبَّرَ الْآمُرَ بِفَضْلِ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُؤْفَقُونَ ٢ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِجْسًا وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِشِّي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٣ وَفِي الْأَرْضِ قَطْعُ شَجَوَاتٍ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَخَيْلٌ صَوْنًا وَغَرَضٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَفَضْلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٤ وَإِنْ تَحِبَّ فَحِبِّ قَوْلَهُمْ أَمْ ذَاكَ تَرَاءً أَمْ لِي خَلْقٌ جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَى ٥ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٦

الحكمة، يبين الآيات الدالة على قدرته وتوحيده، لتوقنوا يا أهل مكة وأمثالكم وتحققوا كمال قدرة الله على البعث والحساب.

٣- والله الذي بسط الأرض طويلاً وعرضاً لتيسير العيش عليها والانتفاع بمنافعها، ولا ينافي ذلك كرويتها بذاتها لتباعد أطرافها، وخلق فيها جبالاً ثوابت، وأنهاراً تتدفق بالمياه، وخلق فيها من كل الثمار زوجين: ذكراً وأنثى للتلاقح، وصنفين متقابلين كالحلو والحامض، والأسود والأبيض، والصغير والكبير، يغطي الليل بظلمته ضوء النهار فيطمسه، إن في ذلك المذكور لدلالات على وحدانية الله تعالى، لقوم يتأملون، فيدركون وجود الله وتوحيده.

٤- وفي الأرض بقاع وأجزاء متلاصقات، ولكنها مختلفة النباتات والزرع والخصوبة ونوعية التربة، ويساتين عنب وزروع، ونخلات يجمعها أصل واحد، وتنشعب فروعها، أو أصناف متماثلات وغير متماثلات، وكل من الزرع والأشجار يسقى بماء واحد، وتتفاضل فيما يؤكل من ثمرها شكلاً وطعماً، ولونا ورائحة، وقدراً وزمناً، إن في ذلك المذكور لدلالات على قدرة الله تعالى لقوم يتفكرون في عظمة الخالق، فيؤمنون به.

٥- وإن تتعجب أيها النبي من تكذيب الكفار لك وعبادة الأوثان، فالأعجب منه تكذيبهم بالبعث وإنكارهم له، وقولهم: أيمن بعثنا مرة أخرى بعد أن صرنا تراباً مفتتاً؟ أولئك المنكرون للبعث هم الذين جحدوا بقدرة ربهم، وأولئك الذين يُقَيِّدون بالقيود في أعناقهم، وأولئك أهل النار الماكثون فيها على الدوام.



وَيَسْتَعْلُونَكَ بِالْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ
الْمَثَلُ وَإِنْ رَأَيْتَ لَدُوْمَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ
رَأَيْتَ لَشَدِيدٍ أَلْعَابٍ ١٠ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ
هَادٍ ١١ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا يَغْفِرُ الْأَرْحَامَ وَمَا
تُرَدُّ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِعَقْدٍ ١٢ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ١٣ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ
جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأُتَيْلٍ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ١٤
لَمْ يُعْقِبَتْ مِنْ بَنِي يَدْيِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ مَا يَقُومُ حَتَّى يَبْعُرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ وَإِذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ
مِنْ أَلٍ ١٥ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ١٦ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَأُكَ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ
بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ ١٧

٦. ويستعجلك المشركون المكذبون بالعقوبة قبل وقوعها بانزال العقوبة المهلكة، وقد مضت من قبلهم عقوبات أمثالهم من المكذبين، فما لهم لا يعتبرون بهم؟ وإن ريك أيها النبي لذو ستر عظيم للذنوب، وإن ريك يعاقب الكفار الثمردين عقاباً شديداً. والمثلاث: العقوبات التي تمثل الذنب.

٧. ويقول الكفار العتاة: هلا أنزل على محمد من ربه معجزة حسية أخرى تدل على صدقه ونبوته، فرد الله عليهم: إنما أنت أيها الرسول مخوف بالنار من عصي الله، وليس عليك إتيان الآيات، ولكل قوم نبي أو رسول يهديهم ويرشدهم إلى طريق النجاة.

٨. الله يعلم ما تحمل كل أنثى في رحمها من أنواع الأجنة وصفاتها وأحوالها وأعمارها، وغير ذلك، وما تنقص الأرحام بخروج الأولاد ومدة الحمل ونقص الأعضاء وظهور الخيض، وما تمر به الأجنة من أطوار النمو يوماً فيوماً، وكل شيء عند الله بقدر محدد ونسبة ثابتة معلومة. ومعرفة البشر نوع الجنين ذكر أو أنثى بالتحليل الكيميائي أو بالأشعة مثلاً، لا يخل باختصاص الله تعالى بمعرفة شؤون أخرى للحمل. وتفيض وتزداد أي تنقص وتزيد الأرحام للجنين.

٩. الله تعالى هو العالم بالحسيات الحاضرة

والغيبات غير المرئية، والعظيم الشأن، المستعلي على كل شيء بقدرته وقهره.

١٠. يستوي في علم الله تعالى من أخفى القول في نفسه ومن جهر به، من خير أو شر، ومن هو مستتر في ظلمة الليل، وظاهر بارز بالنهار، يسير في سره، أي طريقه.

١١. لكل إنسان ملائكة تتعاقب في حفظه ورعايته، وهم الملائكة الحفظة، يحفظونه بأمر الله وإعانتة، لا أن يردوا أمر الله، فإذا جاء القدر تخلوا عنه، ويحصون عليه أعماله من خير وشر، إن الله لا يغير ما يقوم من نعمة أو عافية، حتى يغيروا ما بأنفسهم من الطاعة والخير إلى المعصية والشر، وإذا أراد الله بقوم عذاباً أو هلاكاً، فلا رد له، وليس لهم من غير الله من ناصر يلي أمرهم، فيجلب لهم الخير، ويدفع عنهم الشر.

١٢. الله الذي يريكم البرق (الشرارة الضوئية في السماء بسبب تصادم الأجرام السماوية) للتخويف من الصواعق، والطمع في المطر، وينشئ السحب الكثيفة المثقلة بالماء.

١٣. وينزه الله تعالى الرعد (الصوت المسموع خلال السحاب بسبب احتكاك الأجرام السماوية) بحمد الله سبحانه، أي أن صوت الرعد يدل على خضوع السحاب وكل شيء لله وتزنيه الله عما لا يليق به، والملائكة يسبحون (ينزهون) من هيبته وجلاله، ويرسل الله الصواعق المحرقة (الشهب المنقضة من الأجرام السماوية) فيهلك الله بها من يشاء، وكفار مكة ونحوهم يجادلون في قدرة الله على البعث وفي الوجدانية، والله شديد القوة وأخذ الأعداء بالعقوبة. نزلت في شأن رجل من فراعنة العرب أرسل النبي ﷺ إليه رجلاً يدعو إلى رسول الله ثلاث مرات، فأبى وقال: وما الله؟ فأرسل الله عليه في المرة الثالثة صاعقة ذهبت بقحف رأسه.

لَمْ دَعَوْهُ الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبُيِّسَتْ لَهُمْ سُبُلُ الْمَاءِ بِظُلْمٍ لَهُمْ بِهِمْ سُبُلُهُمْ وَمَا دَعَا الْأَكْثَرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝ (١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا أَلْفُوا لَهُ أَلْفَادًا ۝ (١٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَتَأْخُذْتُمْ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ أَنْفُسَهُمْ فَنُفَعَاءُ وَلَا ضَرَّاءُ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا خَلْقَهُ فَتَشْبِهَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ خَلْقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ (١٦) أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَخَلَّتِ الْأَشْجُلُ زُبَانًا رِيبًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ فِي النَّارِ أَنْبَاءَ حَلِيقَةٍ أَوْ مَنَعَ رَبُّكَ مَسْأَلُكَ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ وَالْبَاطِلُ قَامًا أَوْ كَانَتْ قَدْ هَبَّتْ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَكُنْ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۝ (١٧) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلرَّبِّمُ الْحَسَنُ وَالَّذِينَ لَا يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ لَوْ أَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِمْ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ (١٨)

١٤ - الله تعالى الدعاء الصحيح؛ لأنه وحده القادر على إجابة الداعي، والذين يعبدون الأصنام والأوثان من غير الله ويدعونها لا يستجيبون لهم بشيء عما يطلبونه منهم، إلا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من بعيد، يطلب منه أن يأتيه، ليصل فاه، وما الماء ببالغ واصل إلى فم الداعي أبداً، وليس دعاء الكفار وعبادتهم ألهتهم إلا في ضياع وخسران.

١٥ - والله يخضع جميع من في السموات والأرض، طائعين وهم المؤمنون وقت الرخاء وغيره، وكارهين وهم الكفار وقت الشدة والضيق، وتخضع أيضاً أحييتهم تبعاً لخضوع أصحابها في أول النهار، وما بعد العصر إلى الغروب، وخص هذان الوقتان بالذكر لازدياد ظهور الظلال فيهما.

١٦ - قل أيها النبي للمشركين من قومك: من خالق السموات والأرض ومتولي أمرهما؟ فإن لم يجيبوا، فلا جواب إلا أن تقول: الله الخالق، قل لهم: فكيف اتخذتم من غيرهم أصناماً تعبدونها، لا تقدر على جلب النفع لكم أو دفع الضر عنكم، وتركتم مالك السموات والأرض؟ قل لهم: هل يتساوى الكافر الجاهل والمؤمن المبصر العالم، وهل تتساوى ظلمات الكفر والإيمان؟ لا، بل أجعل المشركون شركاء لله،

خلقوا كما خلق الله، فاستحقوا العبادة كما استحقها؟ فلم يتمكنوا من تمييز الخلقين، قل لهم: الله وحده خالق كل شيء، وهو المتوحد بالالوهية، الغالب على كل شيء.

١٧ - أنزل الله من السحاب مطراً فسال (جرى) ماء الأودية بقدر حجم الوادي واتساعه قلة وكثرة، فرفع واحتمل بقوة السيل فيما جرف معه غطاء وروغة طافية عالية فوق الماء، وبعض المعادن التي يوقدون عليها ليصهروها في النار من فلزات الحديد والذهب والفضة وغيرها، بقصد طلب الزينة واتخاذها حلية وهي الذهب والفضة، أو من أجل اتخاذها أمتعة وهي الحديد والنحاس ونحوهما، يتنفع بها كالأواني إذا أدبيت وآلات الحرب والزراعة والمصانع، لها زبد مثل زبد السيل، أي للمعادن زبد أيضاً، وهو خبث هذه الفلزات المعدنية، مثل ذلك المذكور مثل الحق والباطل وأهل كل منهما، فأما الزبد الطافي فيزول باطلاً مرمياً به، وأما ما ينفع الناس منهما من الماء والمعادن فيبقى في الأرض زماناً، ويتنفع به أهلها، ومثل ذلك المذكور بين الله الأمثال لإيضاح الشبهات. والمراد: أن الله تعالى بعد بيان خطأ الكفار في الآيات المتقدمة (١٤) وما بعدها في اتخاذ آلهة لا تضر ولا تنفع، ضرب مثلين لثبات الحق وهو الإيمان بالقرآن، وزوال الباطل وهو الكفر، والباطل كالزبد فوق الماء يذهب ويتبدد، والحق يبقى كالماء والمعدن الصافي اللذين يبقيان في الأرض، فيتنفع بهما الناس. والثلاثان أحدهما ريفي وهو الماء والزرع، والآخر مدني وهو صناعة المعادن. وقوله ﴿ومما﴾ خبر ابتداء، والمبتدأ ﴿زبد﴾ ومثله: نعت لزبد.

١٨ - المثوبة الحسنة وهي الجنة للذين استجابوا للربهم بالإيمان والطاعة، والذين لم يطيعوا الله ورسوله لا ينفعهم في الآخرة الفداء بجميع ما في الدنيا، وضُغِفَ ما فيها، أولئك الذين لم يطيعوا الله وماتوا وهم كفار لهم سوء العذاب في الآخرة، ومسكنهم جهنم، وبئس المستقر الذي يستقرون فيه.





﴿أَفَنُفَعِّلُهُمْ أَفَنُفَعِّلُهُمْ أَفَنُفَعِّلُهُمْ﴾
 يَذْكُرُوا أَوْلُو الْأَنْبِيَاءِ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ
 أَمِيثَهُمْ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ
 رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْنَاءَهُمْ وَجْهَ
 رَبِّهِمْ وَأَفَاءُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ
 بِالْحَسَنَةِ أَلَسَيِّئَةُ أُولَئِكَ كَمْ عَقَّبَى الدَّارَ ﴿١٤﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ
 يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ
 يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿١٥﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ
 عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
 وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
 أُولَئِكَ كَمْ أَلْعَنَهُ وَكَمْ سُوءَ الدَّارِ ﴿١٧﴾ اللَّهُ يَبْطِشُ الرِّزْقَ لِمَنْ
 يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفِرْحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ
 إِلَّا لَمْعٌ ﴿١٨﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ
 إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَطَمِنَ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٠﴾

١٩- هل من يعلم فيؤمن ويستجيب كالحزمة،
 يعلم أن ما أنزله الله إلى رسوله هو الحق الثابت
 الصحيح، كمن لا يعلم كأي جهل وهو أعمى القلب
 والبصيرة ولا يؤمن؟ لا يستويلن ولا يتشابهان، إنما
 يتعظ أصحاب العقول الراجحة.

٢٠- وأولو العقول هم الذين يوفون بعهد الله
 ويعهد العباد، فيقومون بما فرضه الله عليهم، وينفذون
 معاهداتهم مع الآخرين، ولا ينقضون بنود المواثيق
 والعهود التي التزموا بها. والميثاق: العهد المؤكد.

٢١- وهم أيضاً الذين يصلون ما أمر الله بوصله
 وهو صلة الأرحام وغيرها، ويخافون وعيد ربهم فلا
 يعصونه، ويخشون خطر الحساب، فيحاسبون
 أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

٢٢- وهم كذلك الذين صبروا على طاعة الله،
 وعلى أقدار الله، وترك المعاصي، بقصد طلب رضا
 ربهم، لا لأغراض دنيوية أخرى من فخر أو سمعة
 وغيرها، وأدوا الصلاة في أوقاتها، وأنفقوا في
 طاعة الله مما رزقهم الله، فأدوا الزكاة وغيرها، سراً
 وجهرًا، ويدفعون الإساءة بالإحسان، أولئك
 المتصفون بالصفات المذكورة لهم العاقبة المحمودة في
 الدار الآخرة، وهي الجنات.

٢٣- تلك العاقبة الحميدة هي جنات إقامة وخلود،
 ومعهم من كان ممن صلح من الآباء والأمهات والأزواج والذرية الأولاد، وإن لم يكونوا في درجتهم في التقوى
 والصلاح، تكريمًا لهم وإيناسًا بلفاء أحببتهم وإقرار أعينهم وسرورهم، وتدخل الملائكة من جميع أبواب الجنة
 ومنازل السكنى للتهنئة والتحية، قائلين لهم ما يأتي:

٢٤- يقولون لهم: سلام عليكم، سلمتم من الآفات ودامت سلامتكم، بسبب صبركم على الطاعة والتقوى،
 وعن المعاصي، فنعمت الجنة عقابكم ودارًا لكم أيها الأبرار.

٢٥- والذين ينقضون بنود عهد الله بعد إيمانه ومعاهدته على الطاعة، ويقطعون ما أمر الله بوصله كصلة
 الأرحام، ويفسدون في الأرض بالكفر والظلم والمعاصي وإثارة الفتن، أولئك لهم الطرد والإبعاد من رحمة الله،
 ولهم عذاب النار، والعاقبة السيئة في الآخرة.

٢٦- الله يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيق الرزق على من يشاء من خلقه، والبسط لا يدل على الكرامة، والقبض
 لا يدل على الإهانة، وفرح أهل مكة فرح بطل بطلهم في الدنيا، وجهلوا ما عند الله، وما الحياة الدنيا في جنب
 الآخرة إلا متعة قليلة لا تدوم.

٢٧- ويقول كفار مكة: هلا أنزل على محمد معجزة حسية كعصا موسى ويده وناقية صالح، قل لهم أيها النبي:
 إن الله يضل من يشاء إضلاله، لأنه عاند وتمرد، فلا تفيده الآيات شيئاً، ويرشد إلى دينه وإلى الحق من تاب، وأقلع
 عما كان عليه، وترك العناد.

٢٨- والذين أنابوا هم الذين آمنوا بالله وبما أنزل، وتسكن وتستأنس بذكر الله بتوحيده وتذكر وعده، ألا بتوحيد
 الله ووعدته والتأمل في مخلوقاته وصنعه، وتذكر قدرته تسكن قلوب المؤمنين.

٢٩- الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم الحياة الطيبة والسرور، وحسن المرجع في الآخرة.

٣٠- مثل إرسال الرسل السابقين، أرسلناك في جماعة من الناس، مضت من قبلها جماعات، لتقرأ عليهم القرآن الذي أوحينا به إليك، وهم يجحدون باسم الرحمن، فينكرون وجود هذا الاسم لله تعالى، ولا يشكرون نعمه، قل لهم أيها النبي: الرحمن هو ربي، أي خالقي ومدبر أمري، لا إله في الوجود غيره، ولا مستحق للعبادة سواه، عليه اعتمدت في جميع أموري ومناصرتي، وإليه وحده مرجعي في الآخرة وتوبتي.

٣١- القرآن نفسه هو المعجزة أو الآية لو تعقلوا، فلو فرض أن هناك قرآناً أو كلاماً تُسير به الجبال عن أماكن استقرارها بإنزاله وتلاوته، أو قطعت وشقت به الأرض، فكانت سهولاً وعيوناً وأنهاراً، أو صار به الموتى أحياء بقرآته عليهم، لكان هذا القرآن، ولما آمن به أهل مكة عندما شاهدوا منه ما ذكر، بل الله الأمر جميعاً، فهو القادر وحده على إنزال الآيات، ولو شاء أن يؤمنوا لآمنوا، سواء أنزل ما اقترحوا أم لم ينزل،

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَآبٌ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَن قُرْءَانَا سُرَّتْ بِهِ لَجَبَالٌ أَوْ قُطِيعَتٌ بِهَ الْأَرْضِ أَوْ كُتُبٌ هَبِ الْوَيْقُ بِهَ الْوَيْقُ بَلْ لَئِنْ لَّمْ يَنبَغِ لَكَ أَن تَكُونَ مِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيدُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَتَوَحَّلُ رَبِّيًا مِن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرُسُلِ مِن قَبْلِكَ فَاذْمُتْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَن هُوَ قَابِئُ عَنَّا كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ زَيْنٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَضُدُّوهُم عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

أفلم يعلم المؤمنون ويتحققوا أن لو شاء الله، لهدى الناس جميعاً إلى الإيمان، ولو من غير مشاهدة آيات ومعجزات، ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا من الكفر وتكذيب الرسول داهية تقزع قلوبهم، من قتل وأسرو وقحط، أو تحل القارعة قرب ديارهم، فيملؤهم الخوف والفرع منها، حتى يحيق مصداق وعد الله الذي وعده به وهو النصر عليهم وفتح مكة أو قيام القيامة، إن الله لا يخلف الميعاد على الإطلاق، لا متنازع الكذب في كلامه.

٣٢- وكما استهزئ بك أيها الرسول من المشركين، استهزئ برسل سابقين من أقوامهم، حين دعوهم إلى الإيمان، فاصبر على أذاهم، فأمهل الكافرين مدة للتوبة، ثم أخذتهم بالعذاب الشديد، فكيف كان عقابي لهم على الكفر والاستهزاء؟!

٣٣- هل يتساوى من هو رقيب على كل نفس، وعالم بما كسبت من خير أو شر، ومن ليس كذلك من الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع؟ وقد جعلوا لله شركاء في العبادة، قل لهم أيها النبي: سمؤهم له من هم، والمراد أنهم لا حقيقة لهم، بل أتخبرون الله بشركاء لا يعلمهم في الأرض ولا في السماء، بل أتصفونهم بالشركاء بقول ظاهري فقط، باطل لا أصل ولا حقيقة له فهو كالخيال؟ بل زين للكفار كفرهم وكذبهم وافتراءهم على الله، وصرفوا عن الهداية والإيمان، ومن يجعله الله ضالاً عن الحق والهدى بسبب علمه السابق بضلالة وكفره، فليس له أحد يهديه.

٣٤- لهؤلاء الكفرة عذاب في الدنيا بالقتل والأسر، ولعذاب الآخر أشد وأنكى منه، وما لهم من عذاب الله من مانع ولا دافع ولا عاصم.



٣٥- صفة الجنة العجيبة الشأن التي وعد بها المتقون : أنها تجري من تحت بساتينها الأنهار، ثمارها دائمة لا تنقطع ، وظلها دائم كذلك لا يزول، تلك الجنة عاقبة الذين اتقوا الله ، بالتزام أوامره ، واجتناب نواهيه ، وعاقبة الكافرين بالله النار ، لا غير .

٣٦- والمسلمون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه من مؤمني اليهود ، وهم ثمانون رجلاً يفرحون بما أنزل إليك أيها النبي من القرآن ، وأهل الكتاب الذين تحزبوا على النبي ﷺ من اليهود وساعدوا المشركين ، مثل كعب بن الأشرف اليهودي وأصحابه ، من ينكر بعض القرآن ، مثل نسخه لشرائعهم وكل ما يخالف ما افتروه كادعاء بنوة المسيح لله ، قل لهم أيها النبي : إنما أمرت أن أعبد الله وحده ، ولا أشرك به أحداً غيره في عبادته ، إلى الله أدعو الناس لا إلى غيره ، وإليه وحده مصيري ومرجعي .

٣٧- ومثل هذا الإنزال المشتمل على أصول الدين ، أنزلنا القرآن على أصول الشريعة وفروعها ، للحكم بين الناس في الوقائع والقضايا بالحكمة والعدل ، حكماً قاطعاً لا يبدل ، فاصلاً بين الحق والباطل ، بلسان العرب ليسهل فهمه وحفظه ، كما أنزلنا الكتب على الرسل بلغات أقوامهم ، ولئن اتبعت

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تجري من تحتها الأنهارُ كُلُّهَا دائِمٌ وظلُّها ظلٌّ لا يَنفَكُ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ فِتْنَةٌ بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَفْرَابِ مَنْ يُكْرِهُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَهٌ إِلَهٌ دُعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلِيُنَبِّئَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ رِجَالًا فَمَا كَانُوا رُسُلًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ إِلَّا يَأْتِيهِمُ اللَّهُ بِظُلُمٍ لَئِيْلٍ مُسْتَسَاءٍ ﴿٣٨﴾ وَيُنَبِّئُ عَنْهُمْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضُ الَّذِينَ يَتَّبِعُكَ أَنْ تُؤْفِكَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَجْعَلُ لَمْغِيبٍ لِمَنْ يَكْفُرُ بِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾

فرضاً أهواء قومك الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم ، كالصلاة إلى قبلتهم ، بعدما جاعك من تعليم الله إياك ، ليس لك من الله من صديق ناصر ينصرك ، ولا مانع يقيك من عذابه أو يمنع العقاب عنك .

٣٨- ولقد أرسلنا رسلاً بشراً من قبلك مثلك أيها النبي ، وجعلنا لهم أزواجاً من النساء ، وذرية تولدوا (أولاداً) كما هي لك ، وما صح لرسول أن يأتي بمعجزة حسية من نفسه إلا بأمر الله وإرادته ومشيتته ، لكل حادث كتاب معين ، ولكل أمر مقضي أجل محدد . والمراد بالكتاب هنا : الشيء المكتوب ، أي معجزة تناسب زمن الرسول المرسل .

٣٩- ينسخ الله أحياناً ما يشاء من الأحكام ، ويبقي ما يشاء من الأحكام بمقتضى الحكمة والمصلحة وملائمات الزمان ، وعنده تعالى أصل الكتب ، وهو اللوح المحفوظ الذي لا تبدل فيه ولا تغيير .

٤٠- وإن أربنتك بعض ما نعدهم به من العذاب في حياتك ، أو تنوفيك قبل تعذيبهم ، فما عليك إلا تبليغ الأحكام ، وعلينا محاسبتهم على أعمالهم ومجازاتهم إذا صاروا إلينا .

٤١- أولم ير أو يعلم أهل مكة وغيرهم أننا نتقص من جوانب الأرض التي يعيشون فيها بتخريبها وإهلاك أصحابها ، أو بفتح بعضها على المسلمين ، والله يحكم بما يشاء ، لا متابع ولا ناقض مبطل لحكمه ، والله يحاسب الناس عما قريب في الآخرة ، على وجه السرعة .

٤٢- وقد مكر الكفار الذين من قبلهم من الأمم بأنبيائهم ، والمكر : التدبير الخفي ، فالله التدبير المطلق ، لا يؤبه بتدبير دون تدبيره ، ولا يخيب تدبيره أبداً ، وأما مكر غير الله فلا يضر إلا صاحبه ، يعلم الله جميع ما تكسب كل نفس ، فيعذب جزاءها ، وسيعلم كل كافر لمن العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ، لهم أم للمؤمنين !!

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿١٥﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ
الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَقِيلَ لِلْكَافِرِينَ
مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحْسِنُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْبُدُونَ عِوَجًا أُولَٰئِكَ
فِي صُلَىٰ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ
قَوْمِهِ لِيُنْذِرَ لِقَوْمِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا
أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا
أَلَمْ يَأْنِ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

٤٣- ويقول الكفار: لست يا محمد رسولاً
مرسلاً من الله إلى الناس، قل لهم: كفى بالله
شاهداً على صدقي بيني وبينكم، فهو يعلم صحة
رسالتي، وكذلك المطلع على علم أهل الكتاب من
مؤمني اليهود والنصارى يشهد أيضاً بصدق دعوتي
ورسالتي، لما علموا صدقه من كتبهم.

سورة إبراهيم

١- ﴿الر﴾: ألف، لام، را، للتنبيه والتحدي
وإثبات إعجاز القرآن، كما تقدم في أمثاله، هذا
كتاب وهو القرآن أنزلناه إليك أيها النبي، لتخرج
الناس به من ظلمات الكفر والجهل والضلالة إلى
نور الإيمان والعلم والهداية، بأمر ربهم وتوفيقه
وتيسيره، إلى طريق القوي، الغالب في ملكه،
القاهر لعباده، المحمود على كل حال، المستحق
للحمد لكثرة نعمه، وقوله: ﴿إلى صراط﴾ بيان
للنور المتقدم ذكره.

٢- الإله الذي له جميع ما في السموات
والأرض ملكاً وخلقاً وتصريفاً وتدبيراً وتعبداً،

وهلاك وعذاب للمتكبرين وجود الله أو الذين عبدوا غيره، من عذاب شديد صاروا إليه يوم القيامة، أي
يولولون من شدة العذاب.

٣- العذاب للكفار الذين يختارون أو يؤثرون الحياة الدنيا على حياة الآخرة الدائمة، ويمنعون الناس عن
الإيمان والدخول في الإسلام، ويطلبون لملة الإسلام اعوجاجاً وزيفاً وانحرافاً عن الحق، لموافقة أهوائهم،
أولئك الكفار المذكورون في خطأ بعيد عن الحق والصواب.

٤- ما أرسلنا رسولاً من الأمم السابقة إلا متكلماً بلغة قومه الذين بعث فيهم، ليفهموا عنه شرع الله تعالى،
وليبين لهم ما أتى به من الشريعة، ويكون المفضل والهادي بعد هذا البيان هو الله عز وجل، وهو سبحانه القوي
في ملكه، الحكيم في صنعه، فلا يهدي ولا يضل إلا لحكمة. وليس الإضلال والهداية أمراً جبرياً، وإنما
الإضلال يكون بسبب التمادي في الكفر والعناد، والهداية بالتوفيق والرعاية.

٥- ولقد أرسلنا موسى مصحوباً بالمعجزات والآيات التسع إلى فرعون وملكه، وقلنا له في مضمون
الرسالة: أخرج بني إسرائيل في ملك فرعون من ظلمات الكفر والجهل، إلى نور الإيمان والعلم، وذكرهم
بالوقائع الجسام التي مرت على أمم الأنبياء السابقين، وكيف نجح المؤمنون وهلك الكافرون؟ إن في ذلك التذكير
بأيام الله لدلالات واضحات على التوحيد وكمال القدرة، وعبرة وعظة، لكل كثير الصبر على المحن والبلاء
والطاعة، كثير الشكر للنعم.